

بسم الله الرحمن الرحيم

مختلفة - الأردن - المحاضرة : 44 - جامعة عمان الأهلية: العلم بخلق الله وبأمره وبه.

01-05-2017

مقدمة :

المذيع :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على صاحب الذكرى العطرة، وعلى آله وصحبه والتابعين.

بداية نرحب بالفاضل الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي بيننا في جامعة عمان الأهلية، حيث قامت الجامعة بهيئتها الإدارية والتدريسية وبنشاط عمادة شؤون الطلبة باستضافة الدكتور في هذا اليوم الأغر المبارك، في ذكرى الإسراء والمعراج، ليحدثنا عن آيات الله تبارك وتعالى في هذا الكون، وآيات الله تعالى كما هو معلوم في كتاب مسطور، وكتاب منظور، أما الكتاب المسطور فنستمع إلى الطالب يامن نواصرة في تلاوة آيات كريمة من كتاب الله عز وجل، ومن بعدها يحدثنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي عن آيات الله في الكتاب المنظور...

القوة الإدراكية قوة يتميز بها الإنسان عن بقية مخلوقات :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

معالي رئيس الجامعة حفظه الله ورعاه، العمداء الأكارم، الأساتذة الكبار، الطلاب الأعزاء، طلاباً وطالبات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أيها الأخوة الكرام؛ من المسلمات أن هذه الطاولة التي أمامي جماد لها وزن، ولها حجم، ولها أبعاداً ثلاثة، بماذا يزيد النبات على الجماد؟ بالنمو فقط، وبماذا يزيد الحيوان عن الجماد والنبات؟ بالحركة، وبماذا يزيد الإنسان عن الجماد؟ له وزن، و له أبعاداً ثلاثة، وعن النبات؟ ينمو كالنبات، و يتحرك كبقية

المخلوقات، بماذا يزيد الإنسان على كل المخلوقات؟ بأن الله أودع فيه قوة إدراكية، بالقوة الإدراكية يتميز الإنسان على بقية المخلوقات، هذه القوة الإدراكية تلبى بطلب العلم، والإنسان ما لم يطلب العلم هبط عن مستوى إنسانيته إلى مستوى لا يليق به، كيف وصف القرآن الكريم الإنسان الذي شرد عن الله وشرد عن طلب العلم بالأوصاف مخيفة؟ قال تعالى:

﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾

[سورة النحل: 21]

لكن نبضه ثمانون، وضغطه ثمان اثنا عشر، النبض والضغط مثالي وهو عند الله ميت، لأنه عزف عن طلب العلم ألغى اختصاصه القوة الإدراكية، ألغى أهدافه، عاش لحظته، ونسي الآخرة، فذلك الذي عزف عن طلب العلم عند الناس حي يرزق، وعند الله أموات غير أحياء، الذي عزف عن طلب العلم، قال تعالى:

﴿ كَانَهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ ﴾

[سورة المنافقون: 4]

قرآن، خشبة الذي عزف عن طلب العلم، قال تعالى:

﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

[سورة الفرقان : 44]

الذي عزف عن طلب العلم، قال تعالى:

﴿ كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾

[سورة الجمعة : 5]

كلها آيات قرآنية، معنى ذلك أن طلب العلم ليس وردة نتزير بها، العلم هواء نستنشق، الفرق كبير تعيش بلا وردة، تعيش بلا مليون نوع من الطعام، أما من دون هواء فلا تعيش، من دون ماء لا تعيش، فالعلم للإنسان كالهواء له، فعليه أن يعرف الله، يعرف أنه سيد المخلوقات، المخلوق الأول عند الله، المكلف بعبادة الله، المكرم عند الله، خلق للآخرة:

﴿ فِيهَا مَا لَا عَيْن رَأَتْ، وَلَا أذُن سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بِشَرٍّ ﴾

[متفق عليه عن أبي هريرة]

وجيء به إلى الدنيا ليدفع ثمن الآخرة، قال تعالى:

﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[سورة النحل: 32]

بطولة الإنسان أن يدخل الموت في حساباته :

لذلك أنا أقول تجاوزاً: هناك مرض خطير يصيب الأمة ما هو؟ الغرق في الجزئيات، الدفعة الفلانية، القسط الفلاني، دفع الكهرباء، دفع الهاتف، أشياء كلها جزئية، أما الشيء الخطير فهو مغادرة الدنيا من بيت فيه زوجة يحبها، وأولاد أبرار، وبنات صالحات، ومكانة اجتماعية، وسيارتان، وولائم، وسهرات، وسياحة إلى قبر، عبيد رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت.

قضية الموت قضية خطيرة ومصيرية، هذه النقلة غير المعقولة، معظم أهل الدنيا يتحدثون عن ماضيهم وعن حاضرهم فقط، أنا مهندس درست في القاهرة انتهى، لكن لا يوجد واحد بالألف يتحدث عن مستقبله، لماذا؟ في العقل الباطن هناك شيء أن المستقبل هو الموت، والموت مخيف، مغادرة الدنيا من بيت إلى قبر، زوجة، أولاد، بنات، مكانة، دخل كبير، طعام، شراب إلى قبر، فالبطولة أن ندخل الموت في حساباتنا.

هناك فن عندنا اسمه الكاريكاتير، الكاريكاتير صورة تستهلك في ثانية واحدة، تشرح مني كلمة عن طريق الكاريكاتير، شخص من أغنياء بلد عربي شقيق، توفي والده، سمع هذا الحديث: " عبيد رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت " فرأى شخصاً من شدة فقره يلبس كيس قمح، عندنا في الشام اسمه كيس خيش، فتحه من أسفله لرأسه ومن طرفيه ليديه، وربطه بحبل، قال له: هل تنام مع والدنا وتأخذ عشرة جنيهات؟ قال: أتمنى والله، أجلسوه إلى جانب الأب الميت وفتحوا فتحة حتى يتنفس منها- طبعاً القصة رمزية- جاء الملكان، قال: عجيب كل عمرنا نجد في القبر واحداً، هذه المرة وجدنا اثنين، ما القصة؟ فتحرك الثاني فقالوا: هذا غير ميت، تعال نبدأ به، أجلسوه، كيس القمح رابطه بحبل، الحبل من أين جئت بها؟ قال: من البستان، كيف دخلت إلى البستان؟ تلثم، انهالوا عليه ضرباً حتى كادوا يقتلونه، فخرج من القبر وقال: أعان الله أباكم. تأكل مالاً حراماً وتنفد عند الله؟ تهمل تربية أولادك وبناتك وتنفد؟ ورد في الأثر: البنت يوم القيامة تقف أمام رب العزة، تقول: يا رب، لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، هو الذي سبب فسادي. فالقضية أن هناك مساءلة، أنا أقول: البطولة والذكاء والتوفيق والتفوق أن تعيش المستقبل، إذا عشت المستقبل تكيفت معه، كان عندنا أستاذ في الجامعة من كبار علماء النفس، جاء موضوع التكيف، فقال في بداية الموضوع: هذا الموضوع في الكتاب عبارة عن ثمانين صفحة، أحببون أن أضغطه لكم بكلمة واحدة؟ قلنا: ما هي؟ قال: التكيف. الذكاء هو التكيف، تتكيف مع الآخرة، هذا الدخل حرام، وهذه السهرة لا ترضي الله عز وجل، وهذه الزوجة مظلومة يجب أن أنصفها، وهذا الابن ما ربيته، تتكيف مع الآخرة،

تتكيف مع المنهج الإلهي، تتكيف مع مستقبلك، الذكاء هو التكيف، إذا الإنسان تكيف مع ما يحيط به، مع ربه، أنا أقول كلمة دقيقة جداً أتمنى أن تكون واضحة: نحن عندنا نجاح، الإنسان قد يكون ناجحاً في كسب المال، معه أموال طائلة، بيل كيت يملك ثلاثة وثمانين ملياراً، نجح في كسب المال، وهناك نجاح مع الصحة، يعتني بصحته عناية فائقة، نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع، هذا حديث للنبي الكريم مكتوب على أكبر مستشفى في برلين، باللغة الألمانية ومن تحت محمد بن عبد الله، الإنسان حينما يتعلم يتحرك بحركة وفق المنهج و وفق مصلحته.

أنواع العلم :

العلم موضوع أساسي، العلم ليس وردة تضعها أو لا تضعها، العلم هواء تستنشقه، لذلك أودع الله فينا قوة إدراكية، القوة الإدراكية تقتضي طلب العلم، فلا بد من طلب العلم، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، الدنيا، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً.

أيها الأخوة الكرام؛ العلم ماذا؟ عندنا علمٌ بخلقه، اختصاص الجامعات في الأرض؛ فيزياء، كيمياء رياضيات، جيولوجيا، علم أرض، علم اجتماع، علم تربية، فلسفة، اختصاص الجامعات في الأرض هذا علم بخلقه، وعلم بأمره، اختصاص كليات الشريعة، الحلال والحرام، والأمر والنهي، والحق والباطل، والخير والشر، والأنبياء والرسول إلى آخره، الثالثة أصعب شيء، وعلمٌ بالله، العلم بالله الثمن باهظ جداً، والنتائج باهرة جداً، أما العلم بأمره فيحتاج إلى دراسة، تحتاج إلى وقت، وذاكرة قوية، وتنظيم للوقت ينجح، العلم بخلقه طالب طبيعيات، طالب علوم، طالب فيزياء، كيمياء، رياضيات، تاريخ، جغرافيا، فلسفة، معلومات، تقرأ تلخص تعيده مرة ثانية تحفظ يأتي السؤال تجاوب تأخذ شهادة، هذا علم بخلقه، وإن كنت طالب شريعة عندك فقه، عقيدة، وعندك أسباب النزول، وتربية إنسانية إلى آخره، أما العلم به فأثمن ثمن جاهد تشاهد، ثمن العلم بخلقه الدراسة فقط، مدارس بين دوام، تشتري كتاباً تلخص الكتاب، تسمع رفيقك، محفوظاتك من ذاكرتك، تقدم فحصاً، تأخذ شهادة، هذا مدارس، العلم بخلقه مدارس، والعلم بأمره مدارس، أما العلم به فمجاهدة، جاهد تشاهد، أنت إذا طبقت منهج الله يكشف لك الله الحقائق.

آيات الله هي القنوت الثلاث السالكة لمعرفة الله :

أخواننا الكرام؛ بادئ ذي بدء الله عز وجل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، ذات كاملة، قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾

[سورة الأعراف: 143]

أنت مع الدين لا يمكن أن ترى الله، لكن الله عز وجل ماذا قال؟

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الجاثية: 6]

الآيات هي القنوت الثلاث السالكة لمعرفة الله، الطرائق الوحيدة للمعرفة والآيات، قال تعالى:

﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾

[سورة الأعراف: 143]

الرؤية المباشرة مستحيلة، ماذا بقي؟ الآيات، والله عز وجل قال:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾

[سورة الذاريات: ٢٠]

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الجاثية: 6]

الآيات كم نوع؟ قال: هي أنواع ثلاثة، آيات كونية، آيات تكوينية، آيات قرآنية، التكوينية خلقه، والتكوينية أفعاله، والقرآنية كلامه.

التفكر في خلق السموات و الأرض :

الكونية تقتضي التفكير، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة آل عمران : 190-191]

التفكر جاء بالفعل المضارع، والمضارع من معانيه الاستمرار، قال تعالى:

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران : 191]

أمامي قارورة ماء، للماء خاصية لولاها ما كان هذا المجلس، ولا هذا اللقاء، ولا عمان، ولا الأردن، ولا الشرق الأوسط، ما هذه الخاصية؟ هذا الماء مثل أي عنصر تسخنه يتمدد، تبرده ينكمش، هذه مسلمة من مسلمات الفيزياء إلا الماء، مثلاً حرارة الماء عشرون درجة بردناه للدرجة الخامسة عشرة، بالتبريد ينكمش، بالتسخين يزداد حجمه، على العشرين انكمش، على الخمس عشرة انكمش، على العشر، على الخمس انكمش، حتى وصلنا إلى أربع درجات، تنعكس الآية يزداد حجمه، ينفرد الماء بهذه الخاصية أنه على التبريد يزداد حجمه، فإذا زاد حجمه قلت كثافته، فإن قلت كثافته طفا على سطح الماء، تبقى أعماق البحار دافئة كلها، أما لو تجمد ماء البحار فازدادت كثافته لغطس، بعد حين تتجمد جميع البحار، ينعدم البخار، ينعدم المطر، يموت النبات، يموت الحيوان، يموت الإنسان، حياة الأرض كلها بكل خصائصها مبنية على خاصية في هذا الماء، أنه يتمدد بالدرجة زائد أربع، هل هذا الكلام عليه إشكال؟

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

[سورة لقمان: 11]

هذا الإله العظيم يعصى؟! هذا الإله العظيم ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟ لولا هذه الخاصية ما كان هذا المجلس، ولا هذا اللقاء، ولا عمان، ولا الأردن، ولا الشرق الأوسط، ولا الدنيا، انتهت الحياة، لذلك الله عز وجل أمرنا بالتفكير، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران : 190-191]

العالم أنشأتين من كبار علماء الفيزياء وهو الذي اكتشف السرعة المطلقة في الكون، إنها سرعة الضوء، وأنا كنت في أمريكا ودخلت إلى متحف فلكي، له تمثال متقن إتقاناً يفوق حدّ الخيال، وهو جالس وقفت إلى جانبه وقلت: يقول هذا العالم الذي هو من كبار علماء الفيزياء: كل إنسان لا يرى في هذا الكون قوةً هي أقوى ما تكون، عليمةً هي أعلم ما تكون، رحيمَةٌ هي أرحم ما تكون، هو إنسانٌ حي ولكنه ميت. طبعاً يوجد علماء أكثر ما آمنوا، لكن هذا آمن.

إذاً هذا الرجل اكتشف السرعة المطلقة في الكون، لكن للتقريب الأرض يدور حولها القمر دورة في الشهر، لو أخذنا مركز الأرض ومركز القمر ووصلنا بينهما بخط، ما هذا الخط؟ هذا الخط هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض، ضرب اثنين القطر، ضرب ثلاثة فاصلة أربعة عشر

البي (II) المحيط، أيضا ابنك الصغير بدقيقة مع آلة حاسبة يحسب لك كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في الشهر، دورة كل شهر، ضرب اثني عشر في السنة، ضرب ألف بألف سنة، الآن معي رقم كبير جداً، المسافة التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، لو قسمنا المسافة على الزمن الناتج السرعة، لو قسمنا هذا الرقم الكبير على ثلاثمئة وخمسة وستين، السرعة باليوم، تقسيم أربع وعشرين في الساعة، تقسيم ستين في الدقيقة، تقسيم ستين في الثانية، إنها سرعة الضوء، 299656، ماذا قال تعالى؟

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[سورة الحج: ٤٧]

أي ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام يقطعه الضوء في يوم واحد، فسرعة الضوء اشتقت من هذه العملية المعقدة، حتى في القرآن:

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[سورة الحج: ٤٧]

النبي عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء فمعجزته مستمرة :

الأنبياء السابقون جاؤوا بمعجزات حسية، سيدنا إبراهيم ألقى في النار فلم يحترق، هذه معجزة.

﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾

[سورة الأنبياء: 69]

سيدنا موسى ضرب البحر فأصبح طريقاً ييساً، معجزة، سيدنا عيسى أحيى الميت، الأنبياء جاؤوا بمعجزات حسية، إلا أن المعجزات الحسية كتألق عود الثقاب تتألق وتنطفئ وتصيح خبراً، يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه، إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام، هو خاتم الأنبياء والمرسلين، هو لكل الخلق أجمعين، وكتابه خاتم الكتب، فلا بد من أن تكون معجزته مستمرة، ولن تكون مستمرة إذا كانت حسية، لا تستمر إلا إذا كانت علمية.

آيات الله في الآفاق :

عندنا أول رحلة أبولو إلى القمر، عندما صعد رائد الفضاء إلى القمر، في منتصف الرحلة صاح رائد الفضاء: لقد أصبحنا عمياً لا نرى شيئاً؟ ما الذي حصل بعد ساعة أو ساعتين؟ الذي حصل أنهم تجاوزوا طبقة الهواء التي تبلغ ستة وخمسين ألف كيلو متر، فلما تجاوزوا طبقة الهواء انعدم الهواء، انعدم تناثر الضوء، صار هناك ظلام دامس، هذه الحقيقة كشفناها مع أبولو ثمانية أول رحلة للقمر، موجودة على النت ومشهورة، افتح القرآن الكريم الذي نزل قبل ألف وأربعمئة عام يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾

[سورة الحجر: ١٤-١٥]

إشارة إلى حدث وقع قبل أربعين عاماً، نزلت قبل ألف وأربعمئة عام، قال تعالى:

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾

[سورة الحجر: ١٤-١٥]

الأرض في دروتها حول الشمس تمر باثني عشر برجاً بالضبط، أحد هذه الأبراج برج العقرب، قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

[سورة البروج: ١]

أنا سافرت إلى أمريكا، هناك قبة سماوية، هذه الأبراج موصول بينها بخطوط فعلاً كالعقرب، وهناك برج الحمل، إلى آخره، برج العقرب فيه نجم صغير متألق، أحمر اللون، اسمه قلب العقرب، يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، هذا الإله العظيم يعصي؟ ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمرى في المقال شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

أيها الأخوة الكرام؛ الأرض تدور حول الشمس في مسار إهليلجي، وهذا الشكل له قطر أصغر وقطر أطول، الآن الأرض تتحرك من القطر الطويل إلى القطر الأصغر، من مسلمات قانون الجاذبية، يحكم الجاذبية الكتلة والمسافة، فإذا قلت المسافة ازدادت الجاذبية، هناك احتمال أن تنجذب الأرض إلى الشمس، فإذا جُذبت إليها تبخرت في ثانية واحدة، حرارة الشمس تقدر بأربعين مليون درجة، لذلك دقق ترفع الأرض سرعتها إذا اقتربت من القطر الأصغر، يتأتى من رفع هذه السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبية، فتبقى على مسارها، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر: 41]

الزوال هنا الانحراف، أي جهة في الكون يمكنها أن تمسك النجوم والكواكب عن أن تنحرف، إذا انحرفت انجذبت انتهت الحياة، تنتهي حياتنا نهائياً بانجذابنا إلى الشمس، أية جهة رفعت سرعتها ليتأتى من رفع هذه السرعة قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة؟ إنه الله عز وجل.

المسافة طالت، الجاذبية ضعفت، احتمال أن تتفلت الأرض من جاذبية الشمس مئة بالمئة، وإذا تفلتت مضت في الفضاء الخارجي، وأصبحت قبراً جليدياً، الحرارة مئتان وسبعون تحت الصفر، هذا سماه العلماء الصفر المطلق، عندئذ تنتهي الحياة، تنتهي الحياة إذا انجذبت إلى الشمس، وتنتهي الحياة إذا تفلتت من جاذبية الشمس، هنا تخفض الأرض سرعتها لينشأ من خفض السرعة قوة جاذبة تكافئ القوة النابذة فتبقى على مسارها، الآية:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر: 41]

آيات الله في النفس :

قال تعالى:

﴿ سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت: ٥٣]

في أنفسهم، المرأة حينما تلد ينزل مع المولود قرص لحمي يسمى عند الأطباء المشيمة، في هذا القرص تجتمع دورة دم الأم مع دورة دم الجنين، ولدورة الأم زمرة، ولدورة دم الجنين زمرة، ولا يختلطان، لو أن امرأة على وشك الولادة أعطيناها دمماً من زمرة غير زمرتها لماتت فوراً بانحلال الدم، عندنا مريض في الشام دخل المستشفى أعطوه غرفة، لكن القائمين على المستشفى نسوا أن يأخذوا إضبارة المريض السابق من على الطاولة، فهذا لزمه دم، فتوهم الطبيب أن هذه الإضبارة له، فتح أخذ الزمرة أعطوه دمماً فمات فوراً، لو أخذ الإنسان دمماً من زمرة أخرى يموت فوراً، فلذلك الغشاء العاقل يقف بين دم الجنين ودم الأم ولا يختلطان، لو اختلطا لماتت الأم وجنينها معاً.

هذا اسمه الغشاء العاقل، هذا الغشاء يأخذ من دم الأم الأوكسجين، ويأخذ السكر، والأنسولين، ويطره في دم الجنين، صار في دم الجنين أوكسجين، وسكر، وأنسولين، يحترق السكر بفعل الأوكسجين وبواسطة الأنسولين، حرارة الجنين سبع وثلاثون، الآن الغشاء العاقل يأخذ من دم الأم مناعتها، جميع اللقاحات التي لقحت بها في صغرها حتى الولادة، الجنين محصن من كل الأمراض التي أصيبت بها أمه، هذه الثانية، الغشاء العاقل لو فرضنا الجنين بحاجة إلى بوتاسيوم، والأم لسبب أو لآخر لا تأكل

طعاماً فيه بوتاسيوم، الأم الحامل تشتهي أكلة فيها بوتاسيوم، يسمونه عندنا في الشام: الوحام، الأم الحامل تشتهي أكلات معينة قد لا تحبها بالأصل، هذا الوحام حاجة الجنين إلى هذه المادة، قال تعالى:

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

[سورة لقمان: 11]

هذا الإله العظيم يعصى؟ ألا يخطب وده؟ ألا ترجى جنته؟ ألا تخشى ناره؟

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا — ا فإنا منحنا بالرضا من أحببنا
ولذ بحماتنا واحتم بجنابنا — لنحميك مما فيه أشرار خلقتنا
وعن ذكرنا لا يشغلنك شاغل وأخلص لنا تلقى المسرة والهنا
وسلم إلينا الأمر في كل ما يكن فما القرب والإبعاد إلا بأمرنا
فيا خجلي منه إذا هو قال لي أيا عبدنا ما قرأت كتابنا
أما تستحي منا ويكفيك ما جرى أما تختشي من عتبنا يوم جمعنا
أما أن أن تقلع عن الذنب راجعاً وتنظر ما به جاء وعدنا
فأحبابنا اختاروا المحبة مذهباً وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا
فلو شاهدت عينك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا

والله لا أبالغ إن لم يقل أحدكم: ليس على وجه الأرض من هو أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني معه مشكلة في إيمانه، المؤمن أسعد الناس، وقيل: إذا أردت أن تكون أسعد الناس - سوف تغير حركة واحدة - فأسعد الناس.

أيها الأخوة الكرام؛ إلى سنوات لا تزيد عن عشرين سنة يوجد غدة صغيرة اسمها التايموس، قرأت بعيني في أمريكا شرحاً عن هذه الغدة، أنه لا وظيفة لها إطلاقاً، السبب لأنها تضم بعد سنتين بالضبط، ثم اكتشف أنها أخطر غدة بالإنسان، مدرسة حربية، تدخل إليها الكريات البيضاء همجية جاهلة، تتعلم خلال سنتين من هو الصديق، ومن هو العدو، تخرج بامتحان ليس فقط في الجامعة يوجد امتحانات، يعرض على الكرية البيضاء الممتحنة عنصر صديق، فإن هاجمته أخفقت في الامتحان، وقتلت، اشكروا الله أنتم فقط رسوب لا يوجد قتل، يعرض على الكرية البيضاء الممتحنة عنصر عدو فإن لم تقتله أخفقت في تمييزه والرد عليه رسبت في الامتحان وقتلت، كل الضعاف قتلوا، الآن تخرج الأقوياء، الخريجون أو الخريجات من هذه الكلية الحربية يتولون تعليم الأجيال الصاعدة حتى الموت، لكن مثل أستاذ جامعة كبير بعد أربعين سنة يقول لك: والله مللت، تضعف المناعة، وتنشأ حالة اسمها: الخرف المناعي، هذه الحالة من أعراضها التهاب المفاصل الرثوي.

من يستقم على أمر الله يقطف ثمار الاستقامة :

أيها الأخوة الكرام؛ كنت مرة في أمريكا أخذوني إلى معمل سيارات رقم واحد؛ جينرال موتورز، قال لي الدليل: هذه السيارة فيها ثلاثمئة ألف قطعة، أنا كراكب سيارة أشاهد غلافاً معدنياً، ومحركاً، وعجلات، ومقود، وبنزين، نزلوا عندي من ثلاثمئة ألف إلى خمسة، هذا الدين العظيم يتحمل مليون كتاب والله لا أبالغ، ويتحمل مليون اختصاص، إذا ضغطناه كما ضغطنا السيارة من ثلاثمئة ألف قطعة لخمسة، أنا أسميها الآن: كليات الدين، الكليات؛ عقيدة، أيديولوجيا، جانب فلسفي، جانب عقدي سمّها ما شئت، جانب فكري، منطلقات نظرية، تصورات، جانب فكري، أنت عندك تصور أنت حسب ثقافتك الإسلامية السرقة حرام، لا تسرق، حسب الثقافة الإسلامية الزنا حرام تتزوج، السرقة حرام تكسب مالك بالحلال، هذه ثقافة دينية، المحرمات واضحة، والحلال واضح، فلذلك الإنسان عندما يستقيم على أمر الله يقطف ثمار الاستقامة راحة، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه: 124]

سأل النبي صلى الله عليه وسلم أعرابياً: يا رسول الله عظني ولا تظل؟

((قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك؟ قال: قل: آمَنْتُ بالله، ثم استقم، قال: أريد أخف من ذلك قال: إذا فاستعد للبلاء))

[مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي]

تماماً إذا قال طبيب لمريض: عليك بحمية تامة، معك التهاب المعدة حاد، حمية تامة، على الحليب فقط، قال له: لا أستطيع أنا أحب الأكل كثيراً، قال له: إذا استعد لعمل جراحي. تلتزم من دون مشاكل، من دون عقاب، أقول لأخواننا الشباب والشابات: تمشي صح لك معاملة خاصة من الله، الله عز وجل وعد المؤمنين بحياة طيبة، قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

[سورة النحل: 97]

يقول: أنا اسعد الناس، يقابل ذلك:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾

[سورة طه: 124-126]

حدثني أخ تركي عن أول جسر على البوسفور الذي يربط قارتي آسيا وأوروبا، الآن يوجد ثلاثة، أول واحد صممه مهندس ياباني، ومشى إلى جانب رئيس الجمهورية في قص الشريط، بعدما قصه ألقى بنفسه في البوسفور، شيء يحير، مهندس دخله فلكي، وأول مهندس تقريباً، صمم أطول جسر - يوجد قبله جسر في سان فرانسيسكو- هذا ثاني جسر في العالم، ذهبوا إلى غرفته بفندق الشيراتون، فإذا ورقة كتب عليها: لقد ذقت كل شيء في الحياة فلم أجد لها طعماً فأردت أن أذوق طعم الموت. مؤمن صغير ذاق طعم القرب من الله، هو أسعد إنسان، بيته صغير، وزوجته وسط، ودخل متواضع، وعنده خمسة أولاد أو ستة يقول: أنا أسعد إنسان، اتصل مع الله.

((ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فأتك كل شيء، وأنا أحب إليك من

كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

كل شيء لا يقع إلا بتوفيق الله :

شيء آخر قال تعالى:

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾

[سورة هود: 88]

لا يقع شيء في الأرض إلا بتوفيق الله، فكل إنسان ابتعد عن الله تأتي الحياة بخلاف ما يريد، قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾

[سورة طه: 124]

هذه الآية على شكل قانون، مادام هناك اسم شرط وفعل شرط وجواب شرط، هذا قانون، أنا لي في النت قوانين القرآن، بحث لطيف جداً، موقعي في الانترنت هو الأول في العالم الإسلامي، تعرفوا عليه هو الحاج غوغل، افتحوا واكتبوا اسمي، يأتي الموقع بمليون وخمسمئة ألف مكان، فيه تقريباً سبعمئة ألف صفحة، من ميزة الموقع أنك تأخذ الموضوع صورة وصوتاً ونصاً، والقرآن كله مفسر، و كل محاضراتي التي ألقيتها في العالم موجودة في الموقع، هذه بين أيديكم، الآن العلم صار عجيبياً، كانت الأرض خمس قارات الآن قارة واحدة، بلد واحد، مدينة واحدة، قرية واحدة، بيت واحد، غرفة واحدة، مكتب، الأرض الآن سطح مكتب فقط.

خيار الإنسان مع الدين خيار سعادة أو شقاء :

أيها الأخوة الكرام؛ إن عرفت الله عرفت كل شيء، وإن فاتتكم معرفته فاتتكم كل شيء، والله عز وجل يقول في الأثر القدسي:

((.. وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

خيارك مع الدين خيار سعادة أو شقاء، توفيق أو تعسير، وجود أو عدم وجود.
أرجو الله سبحانه وتعالى أن يحفظ إيمانكم جميعاً، وأهلكم، وأولادكم، وصحتكم، ومالككم، السادسة أهم
واحدة هذه السادسة لا يعرفها إلا من فقدوها واستقرار بلادكم، اشكروا الله على الاستقرار.

الدعاء :

أولاً: من الواجب أن ندعو لمؤسس هذه الجامعة، الدكتور أحمد الحوراني، الذي توفاه الله قبل عام،
والدعوة أيضاً للأسرى المضربين عن الطعام في السجون الإسرائيلية أدعو لهم بالثبات، والتوفيق في
حل مشكلتهم.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنينا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي
إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم اكفنا بحلالك
عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك. اللهم لا تؤمننا مكرك، ولا تهتك عنا سترك،
ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا
وارض عنا، اجعل اجتماعنا هذا اجتماعاً مرحوماً، واجعل تفرقنا من بعده تفرقاً معصوماً، ولا تجعل فينا
ولا منا ولا معنا شقياً ولا محروماً، احقن دماء المسلمين في كل مكان، واحقن دماءهم في الشام، واجعل
هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين.

خاتمة و توديع :

المذيع :

الشكر موصول لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، كما هو موصول للهيئة الإدارية للجامعة،
وأساتذتها، وطلابها، مرحباً بكم دائماً في كل نشاط، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.